تطبيق منهج التفكيك على رواية (نزل الظلام)

Applying the Deconstruction Approach to the novel (Nozol Alzalam)

دكتورة/ نرجس عبد الغفار بازهير

أستاذ مساعد قسم الدراسات والعلوم الأساسية

كليه المجتمع – جامعه تبوك

المملكة العربية السعودية

تمثل فرنسا المهد الأول للتفكيك، والذي انتقل إلى أمريكا عبر رحلة قادها دريدا الذي ألقى محاضراته في جامعة بيل وجونز هوبكنز، هذه الأخيرة التي شهدت ميلاد المؤتمر الأول للتفكيك عام ١٩٦٦ م، لتسود بذلك التفكيكية إلى الساحة النقدية الأمريكية في السبعينات، ويتأثّر بها العديد من المؤلفين والنقاد "لتهيمن بذلك أفكار دريدا على الساحة الأدبية وخاصة على النقاد الرومنسيين والناقمين على موجة النقد الجديد".[١]

وتمثل التفكيكية جانباً مخيفاً من جوانب فوضى النقد المعاصر، حيث شبهها بعض المعارضين لها بأنها كرنفال، تخضع الحياة لقوانينها فقط ولا حياة خارج الكرنفال .

إن جوهر التفكيك كما يراه جاك دريدا هو غياب المركز الثابت للنص، بمعنى أن التفكيكية تقوم على فلسفة التشكيك في العلاقة بين الدال و المدلول، ممايعنى أن المعنى ليس معطى جاهز، وأنه غير حاضر في الإشارة اللغوية (الدال).[٢]

ويجمع معظم الدارسين أن "أول دراسة تفكيكية تعود إلى سنة ١٩٨٥"[٣]، وهي محاولة عبد الله محمد الغذامي في كتابه "الخطيئة والتكفير"، إذ تناول في قسمه الأول

---

[١] انظر : سيلدن ، رامان: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة سعيد الغانمي، المغرب، دار فارس، ١٩٩٦م، ص١٤١.

[٢] http://elbou٣amrani.blogvie.com

[٣] انظر: يوسف وغليسي: التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر، مجلة القوافل السعودية، مج٥، ع٧، ١٩٩٧م، ص٦٢.

المناهج النقدية الألسنية، وشاعرية النص، ومصطلح تداخل النصوص، وما إلى ذلك من المفاهيم، في حين خصص قسمه الثاني لمقاربة قصيدة حمزة شحاتة والموال الحجازي.[1]

[1] انظر: الغذامي، عبد الله محمد : الخطيئة والتكفير من البنتوية إلى التشريحية، قراءة للأنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، جدة، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ١٩٨٥م.

تطبيق المنهج التفكيكي على رواية (نزل الظلام) للكاتب ماجد الجارد :

نبذة عن الرواية :

إبراهيم كان مبصرا وفقد بصره بالتدريج كنتيجة لعامل وراثي وبقي لديه آثار نور ، حيث تخزن ذاكرته بعض التفاصيل وتغيب عنه أكثرها، حمله والده إلى معهد في مكة المكرمة، ومن هنا يبدأ مشواره مع حياته الجديدة.

يخبرنا كيف يتناسون اسمه ويمنحونه رقم تسلسلي يلتصق به إلى أن يتخرج (لعلع العميد: س / ٥ / ١١ تقدم زميل هزيل بارز العظم: أنا يا أستاذ)، كيف يتحركون كوحدة كلية لا رأي لها، مأمورون بالصلاة، والأكل، والدرس، والنوم، في مواعيد ثابتة بغض النظر عن ما يدور في نفوسهم من شهوات بريئة.

يحملون كتب براين الثقيلة عليهم كأطفال، يرون الشمس (أو يشعرون بها) عند ركوبهم الباص بين المعهد والنزل قبل أن يسجنوا بلا جرم، وتقنن خياراتهم القليلة التي لا سبيل لديهم سواها، فلو تركوا النزل وتركوا الدراسة لن يجدوا وظائف تكفيهم حد الكفاف.

الرواية مؤثرة، غارقة في الإنسانية، عذبه حد الألم، فيها معاني مؤلمة جداً تتحدث عن انعدام الخيارات، عن حياة ليس فيها إلا لونين أبيض وأسود ، نور وظلام.

(نزل الظلام) .. إذا نظرنا إلى هذا العنوان منذ البداية سنشعر بإحساس القهر الذي أحسه الكاتب، فهو في مكانه الذي كتب فيه أحداث روايته، والذي لم يحس بإحساس شعاعي فيه بل أحس بأنه من ظلام إلى ظلام.

وأن ذلك المكان الذي أودع فيه ليتغلب على الظلام الذي اقتحم نور عينيه لم يزد حالته إلا سوءاً، ولم أشعر أنه بذلك كان يعني الظلام من حوله والذي تعكسه أعصاب عينيه الضعيفة، بل كان يعني الظلام الذي ينبع من إحساسه الداخلي؛ نتيجة لشيء أو عدة أشياء حاكتها تفاصيله اليومية في ذلك المكان الذي كان سبباً في ابتعاده عن حضن الأمان، حضن والدته وأسرته التي كان يحيا في كنفها.

فنزل الظلام توحي بإحساس من البعد، ومحاولة التشبث بالماضي الذي يبتعد عنك رغماً عنه،ويوحي بالوحشة والخلو والظلام، وإضافة كلمة الظلام لذلك النزل تعمق لدينا ذلك الإحساس بالغربة والوحشة والظلم.

(تمهدني حجرها، وتسعفني صدرها؛ لأروي عروقي من قلبها النابض أمومة، ونقاءاً، وطهراً) كلمات قليلة بدأ بها الكاتب روايته فأجمل ذكرياته وهو في نزل الظلام هي حضن الأمان، وكأنه يتشبث بتلك الذكريات؛ لتمنحه الدفء في ذلك النزل البارد المظلم، كل تلك الكلمات توحي بفقده لحنان أمه التي تمثل العائلة والدفء بالنسبة له.

ويتضح لنا أنه معتز بقدرته السابقة على الإبصار والذي يتضح من خلال قوله:(أتهادى في الصالة، أقترب من صينية الشاي، أتلمس لمعة الفص الكريستال المزين رأس إبريق الشاي)، فحلاوته تلك المرحلة في شقاوته وملاحظته للأشياء اللامعة والجميلة التي كانت من حوله، والمقصود من كل ذلك الوصف ليس جمال الأشياء بل إن هناك معاني خفية من وراء سرده لتلك الأشياء، فهو يحن لرؤية ما يريد، ويصعب عليه أيضاً ملاحظته لها، فهي غائبة عنه محتجبة خلف غمامة من السواد ولكنها أصبحت محيطة به ، ويتجلى ذلك بقوله : (وفي ليلة ، خيم ظلام طارئ .....) فالظلام الذي غلف البيت والذي قام بوصفه أشعل في قلبه الخوف، الخوف من ذلك الظلام، ليس الظلام الذي يغلف المنزل، بل هو ظلام آخر يحس به داخله فتواصل بكاءه، ولم يتوقف عن البكاء إلا عندما أشعلت أمه شعلة الضياء وأحس بها تحمله، وكأن لسان حالها يقول : اطمئن لن أسمح للظلام بأن ينتزعك مني.

وهو يحاول بشتى الطرق أن يتمسك بقدرته على إبصار ما حوله، فنراه يقول: (مددت يدي؛ لأقبض على حلقة الضوء التي تخترق الظلام)، مما يشعرنا هنا بإحساس التشبث الذي يحس به الكاتب، فقد تجرد من واقعه وأراد أن يقبض على حفنة النور التي تشق طريق الظلام من حوله.

ويتجلى ذلك التمسك بالضياء في مواقف صغيرة حدثت له أثناء خروجه مع أهله إلى التخييم، فكلما حل الظلام كان يراقب السراج الصغير المعلق في الخيمة وكأنه يرجوه أن لا ينطفئ، وكأنه بانطفائه تنطفئ أنوار عينيه، ذلك الظلام الذي سيحرمه من

رؤية وجه والدته المحبب إليه، فنراه يقول : (أمضي الليل ممسكاً بوجهها،وأضعه قبالة وجهي الصغير، وأشير إلى السراج المعلق على عمود الخيمة).

إحساس بالألم يعتصرني وأنا أحاول أن أتلمس المعاني العميقة من وراء كلماته، فهو بإطالته النظر إلى وجه ملاذه وبإشارته إلى شعلة الضوء المعلقة في الخيمة، أراد أن يحفظ ملامح وجه جنته وكأن لسان حاله الصغير يقول لها : أرجوك يا أمي لا تسمحي لضياء عيني بالانطفاء، فكأنه يحتمي بها كما تعود دائماً.

وكأن هناك إحساساً داخلياً ينذره بما سيحدث، فقد كان منذ صغره يفضل النور على الظلام، والأماكن المشعة على تلك المظلمة، فنراه يقول : (كنت أؤثر اللعب في الأماكن المضيئة، وأتجنب العتمة...)، وفي قوله :(أخي المبصر يفضل اللعب في هذه الغرفة المترعة، أما أنا فأفضل اللعب خارج المنزل، ألهو بالرمل، أسقي الشجيرات) تلك الأمور الصغيرة التي وصفها إبراهيم ليست إلا أمور تنصب في نبع واحد، وهو الحرمان الذي سيعيشه، تمثل له كل ما سيحرم منه وكل ما يريد أن يشبع حواسه منه.

وفي ذكره لمدى تنبه والديه وصدمتهما بعد ذلك بحقيقة حالته إحساس بالعجز والمرارة، يتجلى بقوله :(ولكن جاءت الآمال مخيبة، كم عقدت عليه الآمال بأن يكون عضيدي وسندي ثم أفاجأ بعماه!!) فالصدمة الحقيقية التي أتلمسها من كلماته ليست في حقيقة اقترابه من عالم الظلام بعد أن عاش في النور، بل تكمن تلك الصدمة في (الأعمى لا يقدر على صنع شيء) عبارة استنتجها من كلمات والده، واستشفها من يأسه وغضبه.

ثم ينتقل إلى تيقنه بحجم مصابه في قوله : (وتحطم زورقي الصغير)، كم هائل من الألم تحمله كلمات قليلة تعتر قلبي قبل قلبه ألماً وشفقة وحسرة.

والصمت الذي غلف المنزل بعدها أبلغ من الكلام، حيث دارت الأفكار وجالت في نفس كل قاطنيه (فصمتا غارقين بدوامة عميقة).

وتأتي ساعة الحسم .. فترجوا الأم أبا إبراهيم بأن لا يستسلم وأن يقدم على خطوة قد تكون بداية طريق الخلاص.

الخلاص الذي كانت تتمناه الأم على الرغم من يقينها بالعكس، حيث يتمثل ذلك في قولها : (سيزول بنظارة بسيطة أو قطرات يسيرة).

فهي تعلم أن تلك الحلول لن تأتي بنتيجة ملموسة في حالة ابنها، ومن وراء تلك الكلمات نستشف كمية الهلع واليأس الذي وصلت إليه الأم.

وعلى لسان الأم كتب الكاتب (بذلت جهدي ليزورنا أطفال الجيران فابتكرت المغريات، من دمي ...) ، فأم إبراهيم بشخصيتها العطوفة وإحساسها بما يعانيه ابنها، وكل ما وصفته في كلماتها المعدودة كان نابعاً من خوفها من عالم الظلام الذي سوف تعيشه قطعة من قلبها في الأيام المقبلة.

والأب بشخصيته المتماسكة كان في داخله يحترق (كلمات أمي ألهبت مكامن الأبوة، فغدا كالملدوغ يبحث عن طبيب ينتزع من قلبه الألم)، فكأنه هو من يعاني، وهو من يتألم، وهو المهدد بفقد بصره.

يحاول إبراهيم ملاحظة كل شيء والنظر إلى أدق تفاصيل الأشياء من حوله، فهو في عيادة الطبيب يحلل الطبيب، والمكتب أمامه، وأدق التفاصيل التي تغلف ذلك المكان، فكأنه يتشبث بما بقي لديه من بصر.

(لا أدري أأنت الذي تلوذ بحضني، أم أنا الذي أتشبث بك) جملة كتبها الكاتب على لسان والد إبراهيم، عبارة مؤلمة فالأب يحاول أن يتشبث بأي ألم من الممكن أن يحيط بابنه، وكأنه يحميه من ما قد يواجهه في فقده لبصره.

(وأحايين تسمح بظهور قرص فضي منير، ليس كالشمس إنما هو نور بلا توهج، ينأى بعيدا أو يحتجب بين الغيوم)، كلمات قليلة تقريرية في ظاهرة تخفي ورائها الكثير من المعاني، فهو يرى القمر بلا إشعاع نور، إشعاع لا يطفئ لهيبه بل هو خجول فار، يحتمي بالغيوم ولا يتحمل مسؤولية إضاءته لدربه، خذله كما خذله بصره.

ويتجلى خوفه من المستقبل الذي سيواجهه، فبعد كونه فرد في عائلة تحتضنه وتلبي كل رغباته أصبح رقما تقدم له وجباته في أوقات مفروضة عليه (وليت القائمين على السكن نساء فتلجئني أمي إلى غريزة الأمومة لديهن...)، فكأنه يحس بأن أمه

تتخلى عنه رغماً، عنها إلى مصير مجهول لا تعلم عنه شيء، فما تعرفه جيداً ويسيطر عليها أنه لا مكان له بينهم.

ولكي يوضح ما هم عليه أولئك الرجال القائمين على النزل، يقول : نقده والدي ورقة مئة ريال، ثم أقفل العميد الباب "توصلوا بالسلامة" فهمهم الوحيد هو المال ولا شيء غير المال، وكأنه أراد أن يثبت هذه الحقيقة بقوله هذا.

وبمجرد خروجه من ذلك المكان الذي سيصبح نزله، انتهى صراع النور والظلام، وحلت الحرارة مكان اللسعات الباردة ، وكأن ذلك البرد ليس إلا خوفه، والصراع لم يكن إلا بين ماضيه الجميل ومستقبله المجهول.

وفي أول أيامه في النزل كان والده بجانبه كاليد التي تسنده وتمده بالتوازن (حتى وصلنا إلى آخر درجة فكدت أسقط، وللمرة الثانية تمتد نفس اليد لتعيد توازني)، فتلك اليد تنشر في جسده الطمأنينة والإحساس بالأمان، حيث يتجلى ذلك بقوله :(تقبض على كتفي)، وفي قوله "(للمرة الثانية)، يصلني إحساس بأنه مهما جنب الطريق ومهما واجهته مصاعب فإن والده سيكون بجواره كالدرع الذي يسنده ويحميه ويدافع عنه.

وفي قوله: (بعدها ننتظم عند الحمام، ونفرش أسنانا إجباري ثم إلى الفراش در) من وراء كلماته يصل لي إحساسه بسجنه وكأنه في معسكر فكل شيء إجباري، وفي استخدامه للفظة العسكرية (در) دليل للمعاني المخفية التي يحس بها تجاه ذلك النزل، وفي قوله: (هذا هو الوقت الوحيد الذي نختلسه لنسرق حريتنا، فيه نتحرر من المراقبة الدائمة).

وهو لا يجد راحته إلا في مكان واحد في ذلك المكان (وأما التربية الفنية حين أقترب من قاعتها يلفحني هواؤها البارد، وما أن تطأ قدماي المرسم أهيم في عالم مسحور) تلك الأجواء تذكره بجو غرفته المترعة بألوان الألعاب والرسومات والألوان، ولهذا عدها المكان الذي يجره إلى عالم مسحور أي إلى غرفته الصغيرة في كنف أهله، وهي أيضاً الشيء الوحيد الذي يتقن عمله فيفردها ويطويها ويعبث بها.

وأحس باستسلام إبراهيم الذي يتجلى بقوله : (عندها اكتشفت أنه عصير التفاح الذي لا أحبه لكني تجرعته).

فهذا المكان الأشبه بالسجن له أثاث قديم (أخطأته فدوى دولاب الملابس الحديد)، (على الأرض فتات كعك، رجل كرسي، وعند زاوية الحائط بيت عنكبوت قذر) يصلني من وراء تلك الكلمات القليلة ما كان عليه ذلك النزل من قلة نظافة ورعاية صحية.

والطلاب فيه لا يأخذون من حقهم إلا القليل وكأنه بقوله: (وكأنهم نمل يتجه ليحمل فتات الموائد) يريد أن يوصل لنا حقيقة صرف الميزانية المخصصة لهم، فهم لا يأكلون كما يأكل المسؤولون عنهم، وليس لهم من الأثاث ما لدى رؤسائهم ، وقد تجلى ذلك في وصفه لمكتب المدير.

وفي قوله : (ويشرف عليهم عميدان وفراشان يزهون ببطون ومؤخرات كبار) تحقيق لتلك الفكرة الكلية التي يريد إيصالها لنا من خلال كلماته.

وإن ما يصبر خالد على ذلك الظلام والأسوار هم أصدقاءه خالد ومحمد فهو ثالث لهما لا يفترقان، محمد القروي الذي يتوق إلى قريته التي يعدها بلا وجود على الخريطة،ورائحة أمه الأثيرية، وحنان أبيه المغلف بالغلظة والشدة، وخالد الذي تتشابه ظروفه مع ظروف إبراهيم فيزور أهله كلما سمحت الفرصة لذلك، فهو من سكان عروس البحر الأحمر وأقربهم إلى النزل.

وفي انتقالهم إلى مرحلة عمرية جديدة انتقلوا إلى سجن أكبر (النورية) يتلاءم مع سنهم أكثر، فكلما تقدموا في العمر كلما ازداد الظلام وأحكم السجن قضبانه.

اسم هذا النزل مناقض تماما لما عليه حالهم، وكأنه يغيظهم في كل مرة ينطقون به أو يسمعونه.

لقد كان النزل الأول (ريع الكحل) موحشاً، ولكن له ثغرات تسمح للنور بالدخول، فهناك الباص الأصفر، وبقالة العم دويخل الذي كان يشفق عليهم ويتغاضى عن نزواتهم، وهناك بائع الآيسكريم والخضار والبسبوسة، والحارة التي تطل عليها شبابيكهم، أما هذا المكان فبعيد موحش منعزل وقاتم حتى بالنسبة لهم، ونستشف ذلك كله من قوله : (وحين ننفرد بفرشنا في الليل وخاصة ليل الشتاء الطويل، يعلو صراخ

الريح ،ويجول بين الردهات المقفرة نباح الكلاب الشاردة، ويفزعنا هدير السيارات المسافرة).

توصل لي تلك الفكرة بعض وصوفه لذلك المكان فهو بقوله: (إنه هناك تحت ذلك الجبل الشاهق) فكأنه يشير إلى المجهول الذي ينتظرهم والذي سوف يشهد عليه ذلك الجبل، وفي قوله :(هذا السور مطوق بقضبان مرتفعة، ولا تحيط به أي شجره مما يلي البوابة العريضة، أشجار زينة غير مثمرة) أشعر من وراء كلماته ووصفه للمكان بالوحشة وإحكام السيطرة والذبول، فبعد أن كانوا يهربون من ذلك النزل الذي كانوا فيه إلى المدرسة أو الدكان، أصبح الهرب الآن مستحيلا فلا خلاص ولا مناص إلا في نهاية الأسبوع، وليس كل من هناك يسعد بتلك اللحظات أيضاً.

وفي وصفه لملعب ذلك النزل حين يقول : (أبغض تلك الملاعب التي تحتوي أكثر من لعبة) فهو لا يكرهها فعلاً وقد يستمتع بها مع أصحابه، ولكنها تمثل بالنسبة له اجتماع الحلول التي خذلته في السابق ،والتي تخجل من المحاولة لانتشاله من حاضره المر.

وهم لا يحسون بهم ولا يشفقون عليهم : (ونفاجأ في صباح الغد بأن يقطع المعلم المبصر الدرس؛ ليدلق نكاته الباردة حول البقع التي لم يصل لها الدعك الجيد، أو الثوب الذي لم يكو...).

(أما الكرة قد أحضرتها من بيتي ، وأما العمداء نعلن عليهم العصيان!!) من هذه الجملة بدأت ثورة الطلاب على ذلك المكان، وعلى ظلم العمداء، وقلة موارد الأكل، وتهميش الرغبات البسيطة والطبيعية لهم.

تلك الثورة فكأنما جاءت من إحساسهم بأنهم ليسوا مجرد أرقام، بل هم بشر بحاجة إلى متنفس، ألا يكفيهم ما يقبعون فيه من ظلام (هل من حكمة النظام حجز إنسان بين سريره ودولابه، أما يكفيهم أننا موثقون لقيدين لا انعتاق منهما) فبعد الظلام الذي يغلف حياتهم، وذلك النزل الشره،لم يتبقى إلا الحجر والحظر الذي يفرض عليهم ويمنعهم من مزاولة كل ما يحبون ويشتهون.

وفي قوله : (فهو يطبق على المغفلين ولا يحميهم) وكأنه بتلك الكلمات يستثير همة زملاءه ليتحالفوا معه، فلا عصيان بلا تكاتف وتعاون.

بدأ الأطفال يكبرون، وبدأت الحياة تعلمهم، وأول درس فيها يتضح بقوله: (... لماذا لا يدرسونا حقوقنا؟، وحدود صلاحيات العميد).

وفي لحظة الحسم وبدايات العصيان نراه يقول : (قبيل ساعة الصفر، كنت أتأمل حزمة ضوء تعبر بين قضبان شباك قاعة الطعام) فهذا ضياء الحرية والتمرد الذي يطالبون من خلاله بحقوقهم، فما هذا الضياء إلا بقعة ضوء في أرضهم المظلمة، وكأنها تشجعه لأن يقترب ويتجرأ على فعل ما خطط له، وما سيقوده في النهاية إلى مطلبه ومراده وأبسط حقوقه.

وجاءت ساعة الانتصار وكأن الكره هي ملاذه، وهي ما يحتمي بها (تركنا الجمع وهرولنا ناحية الباب المؤدي إلى الملعب محتضنا الكرة بقوة) وكأنه يشعر بأن تلك الكرة حلمه بالحرية، ولو سقطت لسقط الحلم وتبددت الحرية.

وحين يقول: (منذ المساء الذي أعلن فيه العصيان، لم تتوقف مباريات كرة القدم، ... لكن حين يهبط الظلام تستيقظ نزعة التسلط لدى العمداء) نشعر بالمعنى الخفي وراء تلك الكلمات فحين يحل الظلام يتسلط المبصرون فهم الأقوى، ومن كان لديه بقايا بصر من المكفوفين انعدم عنده البصر مع هبوط الظلام فتنقلب الآية، لا مقاومة ولا اعتراض، فينقادون للأقوى ويستسلمون مرة أخرى لضعفهم.

وها هي تتحقق ثاني نتيجة لصوت عصيانهم، فبعد اللعب لا بد من سد الجوع ورمق العطش (في الغد ... ينبعث من تحت أحد السلالم غناء وتصفير، ونشر وقطع، وطرق وخرم) فها هو صوت الانتصار متمثل بصفير العم سيد، وها هي بشائر الانتصار تزفها لهم أصوات نشر الخشب.

ومع كل حركة بناء تبنى في أحلامهم تفاصيل الحلم (لم تتوقف أذهاننا عن البناء، حتى انتهت معزوفة سيد المنجرية، عندها تلمست أيدينا الواقع).

وفي قوله : (وانتصبت ثلاجة مرطبات، تمدد سرير هناك في أقصى زاوية تحت سقف الدرج، وجلس دولاب صغير)، هذه تفاصيل الحلم، فليس الأكل ولا المرطبات بحد ذاتها هي المطلب، بل تنفيذ الرغبات وبصيص الأمل.

ولكن تصلنا فكرة من خلال قوله : (تمدد سرير هناك في أقصى زاوية تحت سقف الدرج، وجلس دولاب صغير) مفادها أن لا مناص من سيطرتهم عليهم، حتى وإن قاموا بتنفيذ بعض مطالبهم لهم وتنفيذها.

وبذلك يتحقق لهم الهدف الثالث من أهداف مطالباتهم، فها هو يحل عليهم يوم الثلاثاء الدسم.

وها هو الهدف الرابع يلوح عندما أنشأوا موجتهم الخاصة بهم (دولة العميان)، فكأنهم أصبحوا في تصالح ووئام مع إعاقتهم أخيراً، ليس بالقوة والتسلط بل بالتفهم وإحساسهم بتحقق مطالبهم، فها هو تكافؤ الفرص يلوح في سمائهم المعتمة ليصنع نوراً من نوع خاص، نور من صنع أيديهم يزيد من تحقيقهم لذاتهم.

وفي قوله : (ما أن تفرغ مكبرات مساجد حينا ترديد أذان مغرب يوم الجمعة وخفوت رجع الصدى ، يطبق على الدنيا شيء ثقيل...) نشعر من وراء كلماته ضيقه من الظلام الذي يقضي على رؤيته الضبابية المعدمة تقريباً، وإعلان ذلك الظلام لتحديه، فكأنما يقول له انتهت لحظات بصيص النور لديك، وانتهت لحظات الدفء التي كنت تشعر بها في كنف أسرتك.

ويتعمق لديه إحساس الغربة في قوله :(أغرق يدي في حوض سمك الزينة، كم هو محظوظ ! على الرغم من حبسه يعيش داخل الماء وبين شعب المرجان، في بيئة تحاكي بيئته الأصلية) مما يشعرنا بمدى غربته في ذلك النزل ، وحتى وهو لا يبصر إلا أنه يشعر بمدى الفرق بينه وبين بيته الذي يغلفه الحب والحنان، فكأنما يتمنى أن يكون متوهماً لا فرق عنده بين ماضيه وحاضره، ولكنه يعرف ويشعر ويوقن بالفرق.

وها هو الهدف الخامس يتحقق (حيث وافقت الإدارة بأن تحضر براداً؛ ليحفظ به ما تبقى من الوجبات ، كالخبز ...).

وفي قوله: (نحن رهبان النزل الثلاثة اكتسبنا مهارة في تدبير أمورنا ، وكسر الأنظمة...) وقوله أيضاً: (نشترك لنشتري قنينة الكاتشب ...فيضاف على إدام الخضار قطرات الشطة ...) تتضح لنا من وراء تلك الكلمات معان كثيرة تعود لفكرة واحدة وهي كسرهم لقيود ظلامهم ومصالحتهم معه.

وأشار في قوله : (أمضينا الليلة ننسج أحلاماً في ما سيعرضه التلفزيون المجسم. سأتتبع بيدي حركات لاعبي الكاراتيه الصينيين وهم يتقافزون برشاقة ...) أن الأحلام تكبر والتصالح مع الإعاقة تظهر تباشيره وتلوح في الأفق ، فبعد أن كان النزل والطعام والغربة هي المشكلة لديهم، أصبحوا يتلمسون في واقعهم ما يعينهم على تلك الغربة وذلك الإحساس بالفقد والنقص، وها هم يتكاتفون ليدلي كل فرد منهم بما يبرع به : (اسمعوا يا شباب اسمعوا صوت في الطرف الآخر ، شغل عيونك يا خالد شوي بس، ضع يدك فوق حاجبيك)، (محمد خليك من جهة السيارات المقبلة حتى تسمع جيداً، وأنا سأتقدم قليلاً؛ لأرى الطريق).

من خلال كلمات المؤلف السابقة نشعر أخيراً بمدى تقبلهم للإعاقة، ومدى شجاعتهم وتعاونهم؛ لاعتمادهم على أنفسهم في مواجهة ظروف الحياة، فكأنما الشارع هو الحياة، وكأنما السيارات هي المصاعب التي قد تواجههم فيها ، وعبورهم لذلك الشارع كعبورهم للحياة، وشجاعتهم لمواجهة السيارات هي استعداد تام منهم لمواجهة أي مصاعب قد تواجههم فيها.

وفي النهاية أجد أن من أجمل ما شدني في هذه الرواية هو طريقة الكاتب، وذلك حينما فتح المجال لكل شخصياته بأن يتحدثوا عن أنفسهم وحياتهم وما يخالجهم، فالنزل المظلم هو من جمعهم، وهم كأجزاء مبعثرة لصورة كبيرة واحدة لا تكتمل إلا بوجود تلك الأجزاء واجتماعها معاً.

المصادر والمراجع:

- سيلدن، رامان: **النظرية الأدبية المعاصرة**، ترجمة سعيد الغانمي، المغرب، دار فارس، ١٩٩٦م.
- يوسف وغليسي: **التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصر**، مجلة القوافل السعودية، مج٥، ع٧، ١٩٩٧.
- ht t p://el bou٣amr ani .bl ogvi e.com
- الغذامي،عبد الله محمد: **الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية**، قراءة للأنموذج إنساني معاصر، مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، جدة، النادي الأدبي الثقافي، ١٩٨٥م.